نظريات في خدمة العلوم الاجتماعية
قراءة في دور نظرية التفاعلية الرمزية.

د. بن تامي رضا[1]
قادة بن عبد الله نوال[2]

ملخص:
علم الاجتماع هو الحقل التي يدرس الإنسان داخل المجتمع، وذلك من خلال عدة جوانب يتم التركيز عليها لوضع تفسير سوسيولوجي محض لكل ما ينتجه الفرد سواء كان بمفرده أو بمعزل عن المجتمع، أو كان منتميا إلى جماعة معينة. فدراسة المجتمع الإنساني وما نجد فيه من ظواهر اجتماعية ناتجة عن الأفراد تحتاج إلى ما يساعدها في فهمها من أدوات تحليلية ونظريات، لذلك ظهرت العديد من النظريات السوسيولوجية التي ساهمت في تفسير الوقائع الاجتماعية أو ما يسمى بالظواهر الاجتماعية، والتي من خلالها يتم فهم المجتمع الإنساني، ومن بين النظريات التي ساهمت في إبراز مفهوم المجتمع الإنساني والبحث في العلاقات والتفاعلات التي تحدث فيه نجد النظرية التفاعلية الرمزية، وهي نظرية جعلت المجتمع يتحدث من خلال تأويلها وتفسير كل الأفعال الصادرة عن الفرد بصفته عضوا في المجتمع، وهذا ما سنحاول شرحه في هذه الورقة البحثية.
الكلمات المفتاحية: التفاعلية الرمزية ؛الرمز، السلوك؛ التفاعل، الأدوار؛ الفرد؛ المجتمع؛ الفاعل الاجتماعي.

Summary :
Sociology is the field of study of man within society, through several aspects that focus on the development of a sociological interpretation prohibited to all produced by the individual, whether alone or in isolation from the community, or belonged to a particular group. The study of the human society and the social phenomena that result from individuals need to be helped in understanding of analytical tools and theories. Therefore, many sociological theories emerged which contributed to the interpretation of social facts or so-called social phenomena, through which human society is understood, Among the theories that contributed to highlighting the concept of human society and research in the relations and interactions that occur in it is the symbolic interactive theory, which made the society speak through interpreting and interpreting all actions of the individual as a member of society, and this is what we will try to explain in this E. Research paper.
Keywords: interactive symbolism; symbol, behavior; interaction; roles; individual; community; social actor.

مقدمة

يُعنَى علم الاجتماع بدراسة الأفراد، والجماعات والمؤسسات التي تشكُّل المجتمع البشري، ويشمل مجال الدراسة في علم الاجتماع ميدانا واسعًا يضم كل جانب من جوانب الظروف الاجتماعية.

[1] - د. أستاذ محاضر بجامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.
[2] - طالبة دكتوراه، علم الإجتماع التنمية البشرية.
البريد الإلكتروني: nawelkb3@gmail.com.

فعلماء الاجتماع يقومون بملاحظة، وتسجيل طريقة اتصال الأفراد بعضهم ببعض، وبالبيئة التي يعيشون فيها، وهم يدرسون أيضا تكوّن الجماعات والأسباب الكامنة وراء الأشكال المختلفة للسلوك الاجتماعي، كما تعالج معظم الدراسات في علم الاجتماع الاتجاهات السّائدة، والسلوك وأنماط العلاقات داخل المجتمع، هذا الأخير هو مجموعة من الناس يشتركون في خلفية ثقافية واحدة، ويعيشون في منطقة جغرافية محددة، ولكل مجتمع بناء اجتماعي، أي شبكة من العلاقات المتبادلة بين الأفراد، والجماعات، ويدرس علماء الاجتماع هذه العلاقات من أجل تجديد تأثيرها على الوظيفة الكلية للمجتمع.

ومن أجل هذه الدراسات يصوغ علماء الاجتماع نظريات تبنى على الملاحظة للجوانب المختلفة في المجتمع بهدف الحصول على معرفة حول طبيعة التجمّعات البشرية وما نفرزه من أفكار ومعايير، وقيم وتنظيمات لكي يتفهم ويُفهم لماذا وكيف ومتى وماذا يحصل داخل هذه التجمعات.

وقد تنوّعت النظريات السّوسيولوجية المعاصرة خلال النصف الأخير من القرن العشرين، لتترك لنا تراثا علميًّا متميّزًا يسهم في توجيه الدراسات والبحوث الاجتماعية عامةً. والسّوسيولوجية خاصّة.

وكنظرية من النظريات السّوسيولوجية المعاصرة التي تندرج تحت النزعات السّلوكية الاجتماعية، التفاعلية الرّمزية والتي تمتدّ بذورها التاريخية إلى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، والتفاعلية الرّمزية كنظرية سوسيولوجية معاصرة تجمع بين تحليلات العديد من التّخصّصات السوسيو-سيكولوجية والثقافية المعاصرة في علم الاجتماع، كما اهتمت بالتركيز على قضايا ومشكلات معقدّة تتمثّل في دراسة السّلوك والتفاعل والمواقف الاجتماعية والجماعات الصّغرى والفرد، والمواقف والانفعالات وغير ذلك من مشكلات متعدّدة.

وسعيًا لمعرفة أكثر وضوحًا لهذه النظرية يمكننا طرح إشكالية حول:

- ✓ العوامل والظروف التي أدّت إلى ظهور التفاعلية الرّمزية ومن هم أبرز علمائها؟
- ✓ وما هي أهمّ القضايا التي تم معالجتها في إطار هذه النظرية؟
- ✓ وأخيرًا ما هو التقييم الذي حضيت به التفاعلية الرمزية؟

1- مفهوم التفاعلية الرَّمزية:

إن مصطلح التفاعل الرَمزي فيه شقّين فاعلين هما:

أ- عملية التفاعل والتي هي الفعل الاجتماعي التي هي النظام الرَّمزي، والأصل اللغوي لكلمة نظام يقال:

نظم الشيء: ينظّمه ونَظّمهُ، نظَامًا ونَظْمًا أي ألفه وجَمَعَهُ في سلك واحد فانتظَم وتنَظَّمَ.

وفي الدلالة الاجتماعية يُرادُ به مجموعة المبادئ والتشريعات والأعراف، وكل الأمور التي تنتَظمُ بها حياة الأفراد والمجتمعات والدول.

والنظام الرّمزي قيمته تتجلى في تحقيق تواصل إنساني ويعتبر **"ليفي شتراوس"** الثقافة مجموعة من المنظومات الرّمزية التي تحتل المرتبة الأولى فيها: اللغة، الفن، الدين والعلم.[1]

[1] - دوني كوش ترجمة قاسم المقداد، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2002، ص214.

ويقابل عملية التفاعل الرمزي فهم الرمز وهذا يعتمد على عملية ذهنية مرهونة بنشاط العقل ومخزونه المعرفي من المعاني والتصورات والمعتقدات.

* إن أول من أطلق مصطلح التفاعل الرّمزي هو العالم **"هيربرت بلومر"** وكان يعني فيه:

"إنّ الفعل الاجتماعي التوجّه للحصول على استجابة من آخرين يؤدّي إلى عملية التفاعل، وهذا يعتمد على الخاصية الرَمزية للعقل ضمن إطار عملية التفاعل والاتصال. والمتفاعلون لا يتبعون وصفات اجتماعية ثقافية ثابتة، إنّمَا يؤولون معنى العقل والرّمز، ولهذا لا تعتبر العمليات الاجتماعية. والعلاقات ونواتجها من بناءات اجتماعية ثقافية كأشياء ثابتة، إنَّما عمليات ديناميكية متغيّرة ومفتوحة"

* إضافة إلى هذا التعريف تعتبر اللغة هي أساس النظام الرّمزي، والتي هي رموز دالة تعبّر عن عمليات التفاعل والاتصال، تفهم من خلال خبرات الجماعة، وسياق الفعل، ولهذا يعتبر اكتساب الفرد لخبرة الجماعة في النظام الرَّمزي هو أساس قدرته على التَّفاعل

- والتفاعلية الرّمزية تعتبر شكلاً أو وجها من أوجه ***سوسيولوجيا الفهم***، وهي تنتمي إلى السوسيولوجيا الأمريكية، حيث رَكَّزت هذه النظريّة المعاصرة على قضايا ومشكلات معقّدة تتمثَّل في دراسة ***السُّلوك*** و***التَّفاعل***، والمواقف الاجتماعية و***الجماعات*** الصغرى و***الفرد***، والمواقف والانفعالات، وغير ذلك من مشكلات متَعدّدة.[1]، أو يمكن القول أن ***التفاعلية الرَمزية*** هي عملية التفاعل الاجتماعي التي يكون فيها الفرد على ***علاقة اتصال*** بعقول الآخرين، وحاجاتهم، ورغباتهم الكامنَة، وتُعتبر التفاعلية الرمزية عن ذلك التفاعل الذي يحدث بين مختلف العقول التي تميّز المجتمعات الإنسانية، وهي ترتكز على مبدأين هامين، إذ تهتمُّ بوحدة التحليل (التفاعل) وتعتمد على ***الرموز والمعاني***، أي أن العلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد في المجتمع هي نتاج للرموز والمعاني.

2-1 المفهوم التفسيري للتفاعلية الرمزية:

تعتقد النظرية التفاعلية بأن الحياة الاجتماعية وما يكتنفها من عمليات وظواهر، وحوادث ما هي الاّ شبكة معقدّة من نسيج التفاعلات و***العلاقات*** بين الأفراد، والجماعات التي يتكوّن منها المجتمع.

فالحياة الاجتماعية يمكن فهمها واستيعابها، واستيعاب مظاهرها الحقيقية عن طريق النظر إلى ***التفاعلات*** التي تقع بين الأفراد. ومن أهم الافتراضات التي تتبنّاها النظرية حول محدّدات عملية التفاعل الرَّمزي كوْن ***المجتمع*** ينشأ ويتمتع ويستمر وجوده في توصيل الرُّموز الدَّالة الرد الأفراد.

- إن الإنسان يُنْشئُ الرموز الدَالة التي يتعلَّمها في الاتصال باعتبارها عاملاً هامًّا في العملية الاتصالية.

- يتمُّ التعبير عن النظام الاجتماعي من خلال نظام التَّسلسل الذي يصنَف الأفراد إلى طبقات اجتماعية.

---

[1] - عبد الله محمد عبد الرحمان، **النظرية في علم الاجتماع، النظرية السوسيولوجية المعاصرة**، 2006، دار المعرفة الجامعية ص 166

- إن النّظام الاجتماعي يمثّل دائمًا حل عملية القبول أو الشّك أو رفض المبادئ التي يعتقد أنها تضمن النظام.
- إن الرُّموز تُؤثّر على الدوافع الاجتماعية عند ما تتحدّد الأشكال.[1]

2- وحدات تحليل التفاعلية الرمزية:

يتم التحليل عن طريق استخدام النظرية التفاعلية الرمزية من خلال وحدات وهي:

1- التفاعل:

إن التفاعلية على الرّغم من أخذها للفرد كقاعدة في مقاربة الوقائع، والظواهر الإجتماعية، إلا أنّها، لا تأخذه كمبدأ في التحليل، بل أنها على مستوى التحليل تأخذ الفرد في فعله المتبادل مع الآخرين.

كما أن التفاعل هو حقل للتأثير المتبادل لأن الاجتماعي لا يوجد كمعطى سابق عن الأفراد الفاعلين، بل إنّ الاجتماعي حسب **"جورج زيمل"** هو شكل مستمر، أو أنه حسب **"ستروس"** نظام متفاوض عليه[2].

والتفاعل لا يتم من خلال اللغة والخطاب فقط، بل يتعلّق كذلك ***برمزية الحركات الجسدية*** المرافقة للكلام أو بدونه وحسب **"جوفمان"**، لو استطاع الفاعل التوقف عن الكلام فإنه لا يستطيع أبدًا التوقف عن التواصل عبر لهجة الجسد.

2- الأنا:

لقد شغل الأنا التفكير السوسيولوجي الأمريكي منذ البراغماتيين والتحليلات السوسيولوجية **"جورج هربرت ميد"**، ويعتبر الأنا حجر الزاوية بالنسبة للسوسيولوجيين التفاعليين في بناء نظريتهم، فالأنا يُبين اجتماعيا وهو نتاج التاريخ الشخصي المتّسم بكل الوضعيات والمواقف والأدوار المختلفة التي مرَّ منها الفرد في حياته.

3- الرموز:

وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة التي يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان وتشمل عند **"جورج ميد"** ***اللغة***، وعند **"بلومر"** ***المعاني*** وعند **"جوفمان"** ***الانطباعات والصور الذهنية***.

4- الوعي الذاتي:

وهو مقدرة الإنسان على تمثّل الدَّور فالتّوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثّلها على حد تعبير **"جوفمان"**.

5-التحلّل الاجتماعي:

ويعني عدم خضوع الأفراد في تفاعلهم الاجتماعي إلى ضوابط، ومعايير اجتماعية الخاصة بالمجتمع كالقيم والأعراف.

6-التنظيم الاجتماعي:

بمعنى خضوع تفاعلات الأفراد إلى ضوابط ومعايير المجتمع الخاصة به كالقيم والأعراف والتنشئة الاجتماعية.

7- التنشئة الإجتماعية:

---

[1] -نظرية التفاعلية، **الرمزية نظرية التفاعلية الرمزية**، اعداد طلبة جامعة الملك عبد العزيز، 2012، ص 05.

[2] - **نظرية التفاعلية الرمزية**، نفس المرجع، ص 05.

هي عملية تلقين وتعليم أفراد المجتمع الواحد منذ الصغر اللغة والعادات والنظم، والقيم الاجتماعية المتبعة في ذلك المجتمع. وتبدأ هذه العملية منذ ولادة الطفل، وتتم وظيفة التنشئة عندما يصبح الطفل مواطنا نافعًا في المجتمع الذي ينتمي إليه وتستمر بصورة ضعيفة بعد ذلك،وتلازم الإنسان حتى آخر أيَّام حياته.[1]

8- المركز والدَّور:

لا يوجد مجتمع إنساني يتساوى فيه جميع أعضائه في المركز، فالمركز هو الموضع الاجتماعي لفرد ما بالنسبة لغيره من أفراد المجتمع، بينما الدّور هو مجموعة ***أنماط السلوك*** المتعارف عليها والمصاحبة لمركز محدّد، وبما أن الفرد يحتل عدّة مراكز في مجتمعه، فإنّه يقوم بعدّة أدوار، ولكن على التوالي بمعنى أنّه في حالة قيامه بالدور المصاحب لمركز الأب تكون الأدوار الأخرى المصاحبة لمراكز الزوج والمدرس وغيرها في حالة كمون.

والأهمية الوظيفية للمراكز على اختلاف أنواعها، وأشكالها تتمثّل في التأثير في أسلوب، وكمية التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد وبالتالي تحديد كثافة واتجاهات العلاقات الاجتماعية.

3- الخلفية التاريخية للتفاعلية الرمزية:

إنّ التفاعلية الرمزية لم تظهر من فراغ بقدر ما ترجع إلى ظهور النزعات الاجتماعية السلوكية، أو ما يعرف أيضا بالنّزعات الاجتماعية النفسية التي ترجع جذورها الأولى إلى مجموعة من العلماء الأمريكيين، والأوروبيين، ولاسيما ما يعرف بمدرسة شيكاغو والتي تأسست خلال السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، وتتمثل في تحليلات **"أليون سمول"** و**"وليام توماس"**، اللّذان جاءت إسهاماتهما مرتبطة بنوع من التحليلات السوسيو-سيكولوجية.[2]

إضافة إلى أن جذور التفاعلية الرّمزية ترتبط أيضا بإسهامات بعض علماء النفس والتربية، وأفكار أساسية بالفلسفة البراغماتية، فالأصل أن البرغماتية هي فلسفة الفعل والتي هي جزء من فلسفة المعرفة التي مع فلسفة الوجود وفلسفة القيم تشكل الفكر الفلسفي الشامل، كما أن النّمط الفكري، والمثال المعياري لهذه الفلسفة موجهَّة للضّبط الاجتماعي من خلال التنظيم الاجتماعي الذي يصوغ الذّات الإنسانية لهذا الغرض.

ومن أهم الأفكار التي تَّبنَّاها مُؤَسّسوا التفاعلية الرّمزية كالتركيز على التفاعل بين الفاعل وبيئته الاجتماعية والطبيعية والنّظر بأنّ كلا الفاعل وبيئته متغيّران، والجانب الأخير هو النظر والإقرار بقدرة الفاعل على تأويل بيئته من حوله وهذا ينصبُّ في دائرة التفسير الاجتماعي للايكولوجيا الذي تأثَّرت به التفاعلية الرمزية.

كما أعتمدت على مناهج الدراسة الميدانية التي طوّرها الأنتروبولوجيون، والتي تعترف بمنهجية الملاحظة بالمشاركة.

في هذا الصدد يرى**"كريب"** أن تحديث التفاعلية الرمزية ولاسيما الإسهامات الحديثة لها ترجع إلى اعتمادها سواء على علماء الاجتماع التقليد من أمثال: **"دوركايم"، "باريثو"،**

---

[1] - إبراهيم العسل، **الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع**،الطبعة الأولى 1997، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر، والتوزيع، ص 59.

[2] - نفس المرجع السابق، **النظرية في علم الاجتماع**، ص 167.

و"**ماكس فيبر**"، هذا الأخير الذي أكّد على أنّ فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال فهم اتجاهات الأفراد الذين نتفاعل معهم، وأنّ فهم الظّواهر ***الاجتماعية*** يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع، بالإضافة إلى تحليلات **"زيمل"** التي تبَنّاها من خلال تأكيده على أهمية العلاقات فيما بين الأفراد في بناء الموضوع السوسيولوجي، وتركيزه على أشكال التفاعل بين الأفراد عن وعي، حتى أنه يتخذ أحيانًا موقفا مُبالغًا عن أهمية التفاعل في علم اجتماعه فقد ساوى مثلا المجتمع و التفاعل في قوله "**المجتمع هو نتاج أو المحصلة النهائية لتلك التفاعلات المحدّدة**."أيضا "**المجتمع مطابق لمجموع كل تلك العلاقات**" مثل هذه المقولات أخذت كتأكيد عن اهتمامه بالتفاعل.

كما ارتبطت نظرية التفاعلية الرمزية بتحليلات **"بارسونز"** الوظيفية. والتي ركزت على جعل وحدة الفعل الصغرى أساس الدراسة السوسيولوجية، كذلك ركّزت إسهاماته على دور ***الفاعل*** وكيفية اختياره للأهداف والوسائل التي بها يسعى لتحقيق هذه الأهداف، أي نحو تحقيق التفاعل والتبادل والإشباع للحاجات الأساسية والتي تتم في ***نسق*** من الأدوار والوظائف والتوقّعات والرموز والمعاني.

4- رواد نظرية التفاعلية الرمزية وإسهاماتهم في تطويرها:

إن مدرسة التفاعل المتبادل **"التفاعلية الرمزية"** تمثّل محاولة نظرية ومنهجية تنهض على أسس فلسفية وسيكولوجية بهدف فهم السلوك الإنساني فهما عميقا. وتعتبر الدّعائم التي أرساها " **جورج هربرت ميد**" مصدر مدرسة فكرية تعرف بالتفاعلية الرّمزية، ومن أشهر الرواد الذي ساهموا في ظهور هذه النظرية نذكر:

4-1 جورج هربرت ميد:

هو من أشهر علماء الاجتماع الأمريكيين، ومن أشهر الرّواد المؤسّسين في الاتجاه التفاعلي الرَّمزي ولد عام 1863 في "مشاشوستس" ابن رجل بيوريتاني وتَعلَّم في كليّة ابرلن. ثم تخرج من جامعة هارفارد ثمّ جامعة ليبرّج ثم جامعة برلين، وقد تأثّر كثيرًا بآراء الفلاسفة البرجماتيين الذين ينتمون إلى مدرسة جون ديوي من أمثال: رويس، وويب جيمس.[1]

* معظم تحليلات "**ميد**" جاءت في عدد من المقالات والكتب التي جمعها له تلاميذه بعد وفاته في 1931، ومعظم أفكاره قد ركّزت على فهم التفاعل المتبادل، والذات الاجتماعية ومن أهم أعماله التي تركت بصمة له في هذا المجال نجد:

1- العقل والذات والمجتمع:

إذ تعتبر تحليلات "**ميد**" حول الذات جوهر اسهاماته في النظرية الرمزية على الإطلاق حيث يرى أن الذّات تنبثق وتنمو في الوسط الاجتماعي من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، ويبدأ الفرد في التّعرف على ذاته من خلال أراء الآخرين فيه في سنوات حياته المبكّرة، كما أن الذَات تتكون من عنصرين أساسين هما فاعل ومفعول. بحيث الأنا المفعول لا تنفصل عن الأنا الفعّالة باعتبارها مركب بيولوجي واحد ومن الصعوبة فصل كل منهما عن الآخر، لأنهما يكملان بعضهما البعض وهذا ما يظهر في صورة الفرد.

[1] - نفس المرجع السابق ص 172.

كما يؤكّد على الأصل الاجتماعي للفعل، فالإنسان ليس كائنًا اجتماعيا فحسب بل أن وجوده رهين بالآخر، والوعي بالنسبة له مصاحب للفعل والسّلوك فيقول في هذا الصدد:

"أنّنا واعون حينما يعطي ما نقوم به توجّها-غاية- هدفا لما نقوم به، ويصبح العقل الفردي شخصًا، ذاتًا عندما يصبح موضوعًا خاصًا للفكر أو الوعي.."

- كما ركّز **"ميد"** على التفاعل الاجتماعي وتحليل أنماط التّفاعل ومحصّلة الأفعال الاجتماعية، التي عن طريقها يتّم تشكيل المجتمع الإنساني وقد كان هدفه الأوّل من دراسته محاولة فهم هذه الظّاهرة كوظيفة لمحتواها الاجتماعي.

وخلاصة القول أهمية **"ميد"** تتجلّى في أنه استطاع أن يتحرّر من الأفكار السلبية والميكانيكية عن الذّات والشعور، تلك الأفكار التي هيمنت على علم النفس وعلم الاجتماع الأمريكي في البدايات الأولى من القرن العشرين، وأبرز السّمة المميّزة للعقل الإنساني في قدرته على استخدام الرموز ليميّز الموضوعات في البيئة التي يعيش فيها.

2-4 هربرت بلومر:

هو تلميذ **"ميد"** بجامعة شيكاغو، وقد خلفه في تدريس مادّته بعد رحيله، إذ استخدم **"بلومر"** مفاهيم **"ميد"** من خلال ما يطلق عليه مدرسة شيكاغو ***التفاعلية الرمزية*** هو من مواليد، 1900 في سانت بوك بن ميسوري في الولايات المتحدة الأمريكية، وتبدأ التنشئة الأكاديمية الأولى **"لبلومر"** من خلال تخرّجه من قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو وقد حصل على الدكتوراه عام 1928، وبعد وفاة **"ميد"** ظلَّ يكمّل رسالته العلمية لأكثر من عشرين عامًا، وقد رَكز **"بلومر"** اهتمامه حول دعم وتطوير مفاهيم **"ميد"**، وذلك من خلال دراسته الإمبريقية للسلوك الجمعي ولكنه أيضا حاول أن يعمّق تحليلات التفاعلية الرمزية للمجتمع فضلا عن اهتمامه بمناقشة المناهج السوسولوجية الملائمة لمنظور النظرية، ولقد تنوّعت مؤلّفات **"بلومر"** والتي ركّزت معظمها على ***التفاعل الاجتماعي*** محاولاً تحليل التفاعل الرّمزي وجعله مدخلا متميّزًا، كما ركّز على دراسة كل من العملية والبناء الاجتماعي، ونوعية المنهجية السوسيولوجية التي [1]يجب أن تُطبَّق في البحوث الاجتماعية عامة.

وهذا ما يتجلّى في محاولته لطرح منهج معيّن أو في بعض الأحيان عدد من المناهج البحثية ليس فقط في مجال ***النظرية السوسيولوجية*** المعاصرة وإنّما لتحديث مناهج البحث الميداني وقد سعى **"بلومر"** لتأييد المدخل التقليدي الذي طرحه أستاذه **"ميد"** حول المنهج التفاعلي الرمزي الذي يرفض المناهج السيكولوجية الخالصة التي تقوم على منهج المنبه والاستجابة فقط، وحرص على أن يكون هذا المنهج الجديد للتفاعلية الرمزية مبنيًّا على اساس المنبّه ،التفسير، الاستجابة، كمَا حدّد **"بلومر"** أدوات البحث المنهجي والتي تتمثّل في كل من استمارة البحث، والملاحظة بالمشاركة بالإضافة إلى استعانته بالمنهج الاستنباطي والمنهج الاستقرائي ذات الطّابع السيكولوجي، وهذا ما جعله يحلل طبيعة العلاقة المتبادلة بين التفاعل الرمزي والتنظيم الاجتماعي والمجتمع، هذا الأخير الذي هو شبكة من الأفعال الاجتماعية، ويتصوّره عملية رمزية للتفاعل الدّاخلي. وبهذا يعتبره نسقًا ديناميكيا متغيّرًا،

[1] - نفس المرجع السابق، **النظرية في علم الاجتماع**، ص 180.

ولا يمكن أن نتصوره اعتباره نسقا خاملا أو إستاتيكيا، أو يتكوّن خارج الأفراد بقدر ما يكون داخل الذات الفردية وعلاقاتها بالأفراد أو الذات.

هذه التصوّرات عن التفاعل والتنظيم الاجتماعي ربطتهما تحليلاته حول الحقيقة الاجتماعية. وتفسيره للفعل الاجتماعي وسلوك الآخرين وكفرضيات يضَعها **"بلومر"** للتفاعلية الرمزية:

- ✓ أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- ✓ هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
- ✓ وهذه المعاني تحور وتُعدل ويتمّ تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

ولقد تطابق رأي **"بلومر"** مع آراء مفكرين كثر على أن الفرق بين الكائنين: الإنسان والحيوان إنّما هو في استخدام ***اللغة*** أو ***"الرمز*** الدّال وقد اهتمّ بالتوسع في دراسة مضامين ذلك.[1]

فالرمز الدّال يمنح البشر القدرة على التأمل في ردود أفعالهم وللاستعداد لها في خيالهم. ووجود اللغة هو الذي يمكنّنا من الابتعاد، والتفكير ثم الاختيار. وهو في ذلك يتفق مع **"جورج ميد"** في أن ***التفاعل الرمزي*** هو السمَة المميّزة للتفاعل البشري، وجوهر العالم والبشر الذي يوجدونه ينساب من قدرتهم على التمثيل الرمزي لبعضهم البعض وللأشياء وللأفكار. فبدون القدرة على وضع الرموز واستخدامها في شؤون البشرية، ما كان ممكنا خلق أو صيانة أو تغيير أنماط التنظيم الاجتماعي بين الناس[2] وأنه باستخدام البشر للرموز وتبادل الاتصال فيما بينهم وبفضل قدرتهم على فهم معنى الإشارات الصوتية والبشرية يستطيع البشر إجراء الاتصالات بكفاءة.

3-4 جوفمان أرفنج:

عالم اجتماع أمريكي ولد سنة 1922توفي سنة 1982. حقق شهرة واسعة في مجال علم الاجتماع بفضل تحليلاته لأسلوب العلاقات ما بين الأشخاص، وهو صاحب شخصية محورية في علم الاجتماع الأمريكي وقد تتلمذ على يد **"هربرت بلومر"**، حيث جاءت إسهاماته لتحديث نظرية التفاعل الرمزي سواء من حيث الإطار التصوّري المرجعي، أو من حيث المنهج والدراسات الميدانية التي قام بها **"جوفمان"** للتأكد من المعطيات والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها النظرية التفاعلية الرمزية.

وقد ارتبطت تحليلاته بتحليلات أستاذه **"بلومر"** ومؤسس النظرية **"جورج ميد"** وهذا ما ظهر في مؤلفاته من أهمها **"تصوّر الذّات في الحياة اليومية"**، و **"المقابلات والوقائع"** بالإضافة إلى كتابه عن **"المقدّسات"** سنة 1929 وأهمّ ما ذهب إليه **"جوفمان"** من أفكار والتي وضعها في إطار طرحه لنظرية متطوّرة عن التفاعلية الرمزية نذكر:

أ- الفكرة الأولى:

*** التفاعلية ومنظور الفن المسرحي:**

---

[1] - أيان كريب ترجمة: محمد حسين غلوم، **النظرية الاجتماعية، من بارسوتر إلى هابرماس**، عالم المعرفة، د.ط، 1990.

[2] - عدلي أبو طابون، **النظريات الاجتماعية المعاصرة**، المكتب الجامعي الحديث، ص493.

حيث ذهب إلى أن المبادئ أو النفس نوع من التأليف المسرحي هذا النوع الذي أطلق عليه بمنظور الفن المسرحي، وهو يماثل منظور الأداء المسرحي، الذي تقوم به مجموعة من الأفراد بدءًا من الذّات أو النفس، وما تتضمنها من معاني ورموز، وأشكال وتعبيرات حتى إيماءات الوجه فجميعها تعكس دور الفرد في الحياة اليومية [1]والتي تشبه دور ***الممثّل*** على ***المسرح***، وهنا يحاول توضيح طبيعة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.

ب- الفكرة الثانية:

***- التفاعلية ودراسة المرض العقلي:**

من خلال اهتمامه بدراسة المؤسسات أو التنظيمات العامة، اعتبر المستشفى العقلي، والسجن أو المعتقل ما هي إلا مؤسسات أو انساق مغلقة نسبيًّا، يظهر فيها ***أنماط التفاعل الاجتماعي*** التي تعكس جوانب أخرى من التمثيل المسرحي، حيث يُجبر الأفراد على العيش في مكان واحد تحت سيطرة واحدة هذا ما يخلق وجود فئتين، فئة تشعر بالدونية والضعف أي المرض والنزلاء وهيئة المراقبة الفئة التي تشعر بالفوقية أو صحة الموقف وهذا ما يعكس نمط من التفاعل الرَّمزي، الأمر الذي جعله يتحول نحو زاوية أخرى ويهتم بالتفاعلية والأدوار والحرية، فيُؤكّد أن الفرد دائما يسعى لمزيد من الحريّة والاستقلال خلال قيامه بأدواره التقليدية. ولكنه يعجز في ذلك، وهذا ما حرص **"جوفمان"** أن يحلله خلال التمييزيين الأدوار النمطية أو الطّابع المعياري للدّور الفردي، وبين الأداء الحقيقي (الواقعي) في دور معين بالذات وتحديد نوعية الموقف والأداء الذي عن طريقهما يتم الفرد بأداء مثل هذه الأدوار.

بالإضافة إلى سعي **"جوفمان"** لتوضيح وجهة نظره حول نظرية التفاعلية الرمزية في إسهامات أخرى جاءت تحت عنوان "الوصمة"، و **"التفاعل الإستراتيجي"**.[2]

5- تقييم التفاعلية الرمزية:

لقد أكّدت التفاعلية الرمزية على التفاعل الرَمزي وصححّت المنظورات الأخرى كالوظيفة والصراع. كما أنّ مفهومات نظرية التفاعلية أكثر شمولا من الأنماط المحددة للتفاعل التي تهتم بها منظورات اخرى. كما يمكن استخدام مفهومات ***التفاعل الرَمزي*** لتشمل مدى واسع من العلاقات الإنسانية مثل الصّراع التعاون، الخضوع. ومن حيث المبدأ فإن التفاعلية الرمزية تجعل صياغة نظريات متباينة تدرس كل نمط من العلاقات الإنسانية أمرًا لا ضرورة منه.

ومن خلال النظرية يمكن أن نفهم نموذج الإنسان عبر الدّور الذي يحتلّه، و***السلوك*** الذي يقوم به نحو الآخر الذي كوّن علاقة معه خلال مدة زمنية محدّدة، والتفاعل لا يمكن أن يتم دون أدوار التي يحتلّها الأفراد، كذلك يحمل الفرد صورًا رمزية عن الكائنات غير الحية كالأنهار، والجبال، والبيوت، والشوارع...الخ وهذه الصّور تبقى عالقة في ذهنه، فهي تظهر متى شاهد الشيء أو الشخْص، أو الجماعة، فالمشاهدة تثير الرمز الصوري أو الإدراكي، أو الذهني عند الفرد، ولقد سعت التفاعلية الرمزية لتغيّر طبيعة القضايا والمشكلات التي تعالجها النظرية السوسيولوجية وذلك عن طريق نقطتين أساسيتين:

---

[1] - نفس المرجع السابق ص 184.

[2] - نفس المرجع السابق ص 188.

*** أولا:**

التركيز على عدد من المشكلات والقضايا ودراستها بصورة مركّزة مثل الجماعة، والذات، والتفاعل والتبادل، وهذا ما نتج عنه ما يسمى بمدخل الوحدات التحليلية الصّغرى.

*** ثانيا:**

توجيه اهتمام الباحثين والمهتمين بعلم الاجتماع لضرورة تحديث مناهج البحث السوسيولوجي ممثلة في استخدام المناهج الكيفية التي يعتمد عليها علماء النفس مثل الاستبطان، والاستقراء، والاعتماد على العديد من أدوات البحث الاجتماعي وطرقه المنهجية مثل الملاحظة، والتجربة واستمارة البحث والمقاييس الكمية وغيرها من أساليب متعدّدة عزّزت من عمليات البحث الميداني ونتائجه التي تؤدّي بدورها إلى تطوير النظرية السوسيولوجية.[1]

6- نقد التفاعلية الرَمزية:

بالرّغم من أهمية النظرية التفاعلية الرمزية وإثرائها لمجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة، إلاّ أنّها تعرضّت أيضا للعديد من الانتقادات وهي:

- يرى بعض العلماء أن التفاعلية الرَمزية كنظرية سوسيولوجية قد تخلّت كثيرًا عن استخدام الأساليب العلمية التقليدية، وخاصة لأن أصحابها رؤوا أن مضمون اهتماماتهم وقضاياهم التي ترتبط بالذّات أو الوعي تتصّف بالدّراسات المتنوعة التي يصعب عليهم استخدام الأساليب الكمية، والتي يمكن أن تساعد عمليات الترميز، والتصنيف، أو حتى الحصول على أرقام محدّدة، وهذا ما تخلّى عند روّاد التفاعلية الرمزية وجعلهم يبتعدون عن خاصية الموضوعية، واستخدام العلم عند تحليل قضايا النظرية ومشكلاتها الأساسية.
- ظهور العديد من التحليلات والتصوّرات الغامضة وهذا ما جعل العديد من القضايا والمسلمات غير قابلة للاختبار ممّا أدّى لعدم الوصول إلى القوانين والتعميمات العامة حول التفاعلية الرَمزية.
- إهمال التفاعلية الرمزية في معظم تحليلاتها لدراسة البناءات الكبرى، وهذا ما جعلها غير قادرة على التَنبُّؤ خاصة في القضايا التي حاولت معالجتها بصورة نظرية وميدانية واقعية في نفس الوقت.[2]
- أكدّت التفاعلية الرَمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل الذي يؤدّي إلى ظهور وانبثاق أي نمط من أنماط بناء اجتماعي واستمراره. وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف.
- جعلت من الشخصية أو الذات محور دراستها، وجذبت انتباه الباحثين إلى دراسة التفاصيل الصغيرة في الحياة الاجتماعية وبذلك تكون قد استبعدت النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي من مجال الدراسة.
- إخفاق التفاعلية الرمزية في تحليل الكثير من المفهومات والتصوّرات والعوامل السيكولوجية، إن لم تكن قد أهملتها تمامًا ومن أهم هذه المفهومات: الحاجات، الدوافع، التوتر والإلهام. وإن كانت قد ركّزت فقط على دراسة المعاني، والرموز، والفعل والتفاعل.

---

[1] - نفس المرجع السابق ص199.

[2] - نفس المرجع السابق، ص 202.

- يلاحظ عدم الدّقة الكبيرة لكلمة الرَمز، كما أنه الرموز كثيرًا ما تخرج عن معناها وما يتوقع منها وهذا ما رآه الكثير من علماء الاتجاه الرمزي.
- سعت التفاعلية الرمزية لدراسة وتحليل المواقف الحياتية اليومية، التي تتميّز بالمواقف السريعة والسَطحية دون التّعمق في دراسة طبيعة التفاعل الذي يحدث في المواقف غير الظاهرة في المجتمع كحالات الجريمة والانحراف والظل الاجتماعي ككلّ.

الخاتمة

إن التفاعلية الرَمزية كنظرية سوسيولوجية تسعى إلى دراسة دور الفرد وسلوكه في المجتمع داخل الجماعة التي ينتمي إليها مع الاهتمام بكون عملية التفاعل والتبادل الذي يحدث بين الفرد وذاته أو بيئته، أو بين الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيه. و من ثمَّ فالتفاعلية الرمزية تركّز على الفرد أساسًا كغيرها من النزعات النفسية الاجتماعية، كما تسعى لتحليل نسق الرموز والمعاني التي تترجم في السلوك الفردي والدَور الوظيفي والسيكولوجي الذي يقوم على الفرد في المجتمع. وتحرص التفاعلية الرمزية على دراسة المظاهر الرمزية للتفاعل، ومركب العلاقة المتبادلة بين الفرد والمجتمع وكيفية تنظيم هذه العلاقة. ولاسيما من قبل الفرد في إطار وأسلوب عقلاني يعكس مجموعة العناصر الداخلية أي الذاتية للفرد واستجابته للمواقف والعمليات الاجتماعية.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم العسل، **الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع** ، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997.

2- أيان كريب ترجمة محمد حسين غلوم، **النظرية الاجتماعية من بارسو نزالي هابرماس**، عالم المعرفة، 1990.

3- دراسة لطلاب جامعة الملك عبد العزيز، **نظرية التفاعلية الرمزية**، 2012.

4- دوني كوش ترجمة قاسم المقداد، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002.

5- عبد الله محمد عبد الرحمان، **النظرية في علم الاجتماع النظرية السوسيولوجية المعاصرة** ، دار المعرفة الجامعية، 2006.

6- عدلي أبو طابون، **النظريات الاجتماعية المعاصرة**، المكتب الجامعي الحديث.